المحاضرة (04)

العوامل الداخلية المفسرة للسلوك الإجرامي

يقصد بالعوامل الداخلية المفسرة للسلوك الإجرامي مجموعة العوامل الفردية المتعلقة بشخص المجرم من الناحية البدنية أو النفسية أو العقلية والتي يكون في توافرها أو توافر أحدها لدى هذا الشخص دورا هاما في تحديد السلوك الإجرامي كما وكيفا.

وأهم هذه العوامل الداخلية أو الفردية والتي اهتمت دراسات علم الإجرام ببيان دورها في مجال الظاهرة الإجرامية وعلاقتها بالإجرام نذكر ما يلي: الوراثة ، والسن ، و الجنس ، والمرض ، والتكوين العضوي والعقلي وإدمان الخمور والمخدرات.

أولا : الوراثة :ـ

يقصد بالوراثة انتقال خصائص الأصل إلى الفرع منذ اللحظات الأولى لتكوين الجنين أو انتقال خصائص الأصل إلى الفرع أثناء فترة الحمل ، وإذا كان انتقال بعض الأمراض أو انتقال بعض العوامل المهيئة للإصابة ببعض الأمراض من الأصل إلى الفرع لا يثير مشكلة من الناحية الطبية ، إلا أن الأمر ليس بنفس الصورة من ناحية علم الإجرام ، فالمشكلة التي تثار في مجال البحث في علم الإجرام تنحصر فيما إذا كان الإجرام أو الاستعداد لارتكاب الجريمة يمكن أن ينتقل من الأصل إلى الفرع؟

اختلف العلماء حول تحديد الصلة القائمة بين الوراثة والجريمة، الاتجاه الأول يرى الإنسان يرث السلوك الإجرامي وذلك هو فحوى نظرية لومبروزو عن المجرم بالميلاد الذي يولد حاملا خصائص تجعله حتما مجرم أما الاتجاه الثاني يرى أن الصلة بين الوراثة والجريمة لا وجود لها على الإطلاق وان الجريمة ترجع للعوامل البيئية المحيطة بالمجرم.

وقد شاب كلا من الاتجاهين السابقين التطرف في الرأي ، فمن الصعب إغفال دور البيئة المحيطة بالفرد في تكوين شخصيته الإجرامية ، كما أن ما ينتقل بالوراثة ليس خصائص إجرامية معينة وإنما مجرد إمكانات أو اتجاهات قد تولد لدى الفرد - وهذا ليس يقينية - الميل أو الاستعداد لارتكاب الجريمة و ترتيبا على ذلك يرجع العلماء المعاصرون ارتكاب الجريمة إلى مجموعة من العوامل من بينها

وراثة بعض الإمكانات التي قد تولد لدى الفرد الاستعداد لارتكاب الجريمة، مع ملاحظة أن تأثير هذه الإمكانات ليس حتمية وإنما تنحصر أهميتها في أنها تشكل أحد العوامل الإجرامية.

ثانيا : السن :ـ

يمر الإنسان في حياته بمراحل عمرية عديدة ، وتختلف خصائص الفرد من حيث التكوين البدني والنفسي في كل مرحلة من هذه المراحل العمرية كما أن للبيئة المحيطة بالفرد دور هام في تحديد اتجاهات سلوكه في كل مرحلة عمرية ومن أهم المراحل التي يمكن التعرض لها البيان مدى ارتباطها بالظاهرة الإجرامية كما وكيفاً مرحلة الطفولة ، مرحلة المراهقة ، مرحلة النضوج ومرحلة الشيخوخة.

أ- مرحلة الطفولة:

تمتد هذه المرحلة حتى سن الثانية عشرة ، وتتميز الفترة من التاسعة إلى الثانية عشرة بخطوات نحو الاستقرار النفسي والانتظام في الحياة المدرسية. وخلال هذه المرحلة لا تظهر أفعال إجرامية إلا على سبيل الاستثناء ، ويرجع ذلك للضعف الذي يميز الطفل في هذه السن ، بالإضافة إلى محدودية الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الطفل في هذه السن المتقدمة

ب- مرحلة المراهقة:

تمتد هذه المرحلة من الثانية عشرة إلى الثامنة عشرة ، وأهم ما يميزها هو نمو البدني والذهني والتغيرات النفسية نتيجة الزيادة في إفرازات الغدد.

وهذه التغيرات البيولوجية، علاوة على ما يصاحبها من اتساع مساحة العلاقات الاجتماعية للحدث وتنوع الوسط البيئي والاجتماعي الذي يتعامل معه الحدث ، تزيد من نسبة ارتكاب الجريمة. هذا من ناحية الكم ، أما من ناحية الكيف فإن جرائم الحدث في هذه المرحلة تدور حول ارتكاب جرائم الأموال وكذلك ارتكاب الجنسية الأخلاقية مثل هتك العرض والاغتصاب

ج مرحلة النضوج:

تمتد هذه المرحلة المركبة من الثامنة عشرة إلى الخمسين. وداخل هذه المرحلة يمكن التمييز بين ثلاثة مراحل،

الأولى : وتعرف بالنضج المبكر وتمتد من الثامنة عشرة إلى الخامسة والعشرين ، والثانية : وتعرف بالنضج المتوسط وتمتد من الخامسة والعشرين إلى الخامسة والثلاثين ، والثالثة : وتعرف بالنضج الكامل وتمتد من الخامسة والثلاثين إلى الخمسين.

وفي مرحلة النضج المبكر تصل الاضطرابات البيولوجية والنفسية المتصلة بمرحلة المراهقة إلى نهايتها حيث تبدأ مرحلة الشباب.

وفي هذه المرحلة يستمر ارتفاع معدل جرائم الأموال وذلك بظهور نوعية جديدة من هذه الجرائم مثل النصب وخيانة الأمانة

وكذلك يلاحظ ارتفاع نسبة جرائم الاعتداء على الأشخاص مثل الضرب والجرح والضرب المفضي إلى الموت وجرائم القتل كذلك جرائم القتل الخطأ المرتبط بقيادة السيارات. كما ترتفع نسبة جرائم الفعل الفاضح إلى أعلى معدلاتها.

أما في مرحلة النضج المتوسط، فإن ملامح الشخصية تقترب من صورتها النهائية حيث يتجه الفرد إلى النشاط والحيوية في عمله لتحقيق الاستقرار المهني والمالي مع شعوره بالحاجة إلى الحياة العاطفية لتحقيق الاستقرار العائلي ويأخذ منحنى الإجرام في بداية الهبوط خلال هذه المرحلة مع استمرار ارتكاب نوعية معينة من الجرائم مثل جرائم النصب والسرقة والقتل الخطأ المرتبط بحوادث الطرق وقيادة السيارات.

أما مرحلة النضج الكامل فهي تتميز بذروة النمو في الإمكانات الذهنية والنفسية، وكذلك تأخذ الحياة طابع الاستقرار على كافة المستويات المهنية والاجتماعية والعائلية ويلاحظ على هذه المرحلة هبوط نسبة الإجرام بصفة عامة مع ملاحظة أن جرائم الاعتداء على الشرف والاعتبار تبلغ ذروتها في هذه المرحلة خاصة وأن هذه النوعية من الجرائم لا تحتاج إلى مجهود عضلي لارتكابها.

د. مرحلة الشيخوخة : تمتد من سن الخمسين وحتى نهاية العمر، وفي المرحلة يبدأ الضعف من الناحية البدنية والذهنية.

ومرحلة الشيخوخة يصاحبها هبوط حاد في معدل الجرائم خاصة تلك التي تحتاج إلى مجهود بدني وعضلي كجرائم الاعتداء على الأشخاص وكذلك جرائم السرقة بإكراه ويستخلص من هذا التقسيم

لمراحل العمر أن هناك علاقة بين السن وبين الإجرام حيث لوحظ أن كل مرحلة عمرية تتميز بنوع معين من الإجرام كما أن نسبة الإجرام من حيث الكم تختلف انخفاض وزيادة حسب المرحلة العمرية التي يمر بها الفرد.

الجنس أو النوع:

إذا كانت الدراسات التي أجريت عن العلاقة بين الجنس أو النوع وبين الظاهرة الإجرامية قد أثبتت اختلافا واضحا بين إجرام كل من المرأة والرجل سواء من حيث الكم أو الكيف ، ونجد أن هناك اتجاهين أساسيين في تفسير هذا الاختلاف يعتمد الاتجاه الأول على الاختلاف البيولوجي أي الاختلاف في التكوين البدني والنفسي لكل من الرجل والمرأة ، و أن تكوين المرأة بدنية أضعف من تكوين الرجل ، دل ذلك على قلة إقدامها على ارتكاب جرائم العنف ، أو على التجائها إلى وسائل سهلة إذا ما فكرت في ارتكاب هذه النوعية من الجرائم مثل القتل بالسم. ومن الناحية النفسية فإن التغيرات الفسيولوجية التي تمر بها المرأة في فترات مختلفة من حياتها والمرتبطة في الأصل بطبيعتها كأنثى كالحمل والوضع والرضاعة، هذه التغيرات تقف وراء ارتكابها نوعية معينة من الجرائم.

أما الاتجاه الثاني في تفسير اختلاف إجرام الرجل عن إجرام المرأة يعتمد على طبيعة الظروف الاجتماعية التي يعيش فيها كل منهما. فضالة الدور الذي تلعبه المرأة في المجتمع وعدم خروجها إلى الحياة العامة هو الذي يقلل من فرص ارتكابها للجريمة. وعليه فإن الفجوة بين إجرام كل من الرجل والمرأة تضيق كلما لعبت المرأة دورا كبيرا في المجتمع وشاركت بصورة إيجابية في نواحي الحياة المختلفة لأن ذلك يجعلها عرضة للاحتكاك بالغير.

وما يمكن أن نستخلصه من استعراض الاتجاهات السابقة في تفسير اختلاف إجرام المرأة عن إجرام الرجل هو أنه يجب عدم إغفال أي من الاعتبارات أو التفسيرات السابقة، بل إنه يجب النظر إليها نظرة تكاملية وعدم الاستناد إلى أحد هذه التفسيرات على سبيل الانفراد.

فقد خلص الفقه الحديث إلى أن اختلاف إجرام المرأة عن إجرام الرجل يرجع في حقيقة الأمر إلى اختلاف التكوين البدني والنفسي لكل منهما وفي نفس الوقت إلى طبيعة الظروف الاجتماعية التي تعيشها المرأة والتي تحدد حجم الدور الذي تلعبه في المجتمع.